سُورَةُ الجِنِّ

مكية وهي ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾.

﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ﴾ أن الأمر والشأن ﴿اسْتَمَعَ﴾ أي القرآن كما ذكر ﴿نَفَرٌ﴾ أي جماعة ﴿مِّنَ الْجِنِّ﴾ أي المخلوقين المستورين عن الأنظار، المكلفين كالإنس بالإيمان والعبادة، وفيه دلالة على أنه ﷺ ما رآهم، ولم يقرأ عليهم، ولم يشعر باستماعهم، وإنما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته، فسمعوها، فأخبره الله بذلك، والحاصل من الكتاب والسنة، أن الجن موجودون، متعبدون بالأحكام الشرعية، على النحو الذي يليق بخلقتهم وبحالهم، وأن النبي ﷺ رسولٌ إلى الإنس والجن، فمن دخل في دينه، فهو من المؤمنين، ومن كفر به فهو من الشياطين ﴿فَقَالُوا﴾ لقومهم لما رجعوا إليهم ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ في صلاة الفجر ﴿قُرْآنًا﴾ كتاباً مقروءاً ﴿عَجَبًا﴾ أي عجيباً، بديعاً، مبايناً لسائر الكتب، في حسن نظمه، وصحة معانيه، والعجيبُ ما يكون خارجاً عن العادة، وعجباً مصدر يوضع موضع العجيب، وهو أبلغ من العَجَيب[1].

---

(١) لمَّا حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلت عليهم الشهب، رجعوا إلى قومهم=

﴿ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾.

﴿ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴾ أي يهدي من تمسك به إلى الحق والصواب، وإلى التوحيد ﴿ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴾ بالقرآن ﴿ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ ﴾ بالله ﴿ أَحَدًا ﴾ من خلقه، أي ولن نعود إلى ما كنا عليه من الإشراك به، وهذا يدل على أنهم كانوا من المشركين.

﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ ﴾.

﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ أي عظمته وجلاله ﴿ مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ أي تعالتْ عظمته من أن يتخذ زوجة، ولا ولداً، لأنهم لمَّا سمعوا القرآن، ووفّقوا للتوحيد والإيمان، تنبهوا فيما اعتقده كفرة الجن، من تشبيه الله تعالى بخلقه، من اتخاذ الصاحبة والولد، فنزهوه عنه.

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ ﴾.

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا ﴾ أي جاهلنا إبليس، أو مردة الجن ﴿ عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴾ أي قولاً ذا شطط، وهو البعد ومجاوزة الحدِّ، يريدون به الكفر، لبعده عن الصواب.

= فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، قالوا: فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، وانظروا ما هذا الأمر الذي حدث؟ فانطلقوا نحو تهامة ـ يعني مكة ـ فرأوا رسول الله ﷺ بنخلة، وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، واستمعوا إلى الرسول وهو يقرأ القرآن، فتأثروا به بالغ التأثير، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك رجعوا إلى قومهم منذرين ﴿فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً﴾ وأنزل الله عز وجل على نبيه هذه السورة الكريمة ﴿قل أوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن..﴾ السورة...، وانظر تمام الحديث في صحيح البخاري ٨/ ٦٧٠ من كتاب التفسير.

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ .

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ وهو اعتذار منهم عن تقليدهم سفيههم، أي كنا نظن أن لن يكذب أحد على الله تعالى أبداً، ولذلك اتبعناهم، فلما سمعنا القرآن علمنا أنهم قد كذبوا على الله، ونسبوا إليه ما لا يليق به سبحانه.

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾ .

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ ﴾ كان الرجل من العرب، إذا نزل بمخوفٍ من الأرض، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، يريد به كبير الجن ﴿ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ ﴾ أي فزاد الرجال العائذون الجنَّ ﴿ رَهَقًا ﴾ أي كبراً وعتواً، والرَّهق: الإثم والطغيانُ.

﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ ﴾ .

﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ ﴾ أي الإنس ﴿ كَمَا ظَنَنتُمْ ﴾ أيها الجن، على أنه كلام بعضهم لبعض ﴿ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴾ أي أن لن يبعث الله أحداً بعد الموت فقد أنكروا البعث كما أنكرتموه أنتم يا معشر الجن.

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ ﴾ .

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ ﴾ أي طلبنا بلوغ السماء ﴿ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا ﴾ أي حراساً اسم جمع، ولذلك قيل ﴿ شَدِيدًا ﴾ ولو نظر إلى معناه لقيل: شِدَاداً، وهم الملائكة الذين يمنعونهم عن استراق السمع ﴿ وَشُهُبًا ﴾ جمع شهاب أي شُهباً محرقة تقذف من يحاول الاقتراب منها.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ﴾ أي قبل هذا ﴿مِنْهَا﴾ أي من السماء ﴿مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ لاستماع أخبار السماء، خالية عن الحرس والشهب ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ أي يجد شهاباً راصداً له، يصدُّه عن الاستماع بالرجم، وقال ابن قتيبة: إن الرجم كان قبل مبعث رسول الله ﷺ، ولكنْ لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه، في شدة الحراسة، وكانوا يسترقون في بعض الأحوال، فلما بُعث ﷺ مُنعوا من ذلك أصلاً.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾ بهذا، أي بعدم استراق السمع ﴿بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾؟ خيراً ورحمة، ونسبةُ الخير إلى الله، دون الشر، من الآداب الشريفة القرآنية، نطق بها الجن، حيث نسبوا الخير إلى الله، ولم ينسبوا الشر إليه[1]، كقول إبراهيم عليه السلام ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ. وإذا مرضْتُ فهو يَشْفِينِ﴾[2].

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ أي الموصوفون بالتقوى، المائلون إلى الخير

---

(١) الخير ينسب إلى الله خلقاً وتقديراً، والشرُّ لا ينسب إليه أدباً وإجلالاً، وإن كان كلٌّ من الخير والشر، بتقدير من الله سبحانه: ﴿قل كلٌّ من عند الله﴾ وكما ورد في الحديث الشريف «وأن تؤمن بالقَدَر خيره وشره من الله تعالى».

(٢) سورة الشعراء، آية: ٧٩ ـ ٨٠.

والصلاح، حسبما تقتضيه الفطرة السليمة، لا إلى الشر والفساد، كما هو مقتضى النفوس الشريرة ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي قوم أشرار دون ذلك، فيدخل فيه الكافر وغيره، وهذا بيان حالهم قبل استماع القرآن، وأما حالهم بعد الاستماع فسيُحكى ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ﴾ أي مذاهب ﴿قِدَدًا﴾ أي متفرقة ومختلفة، جمع قِدَّة من قَدَّ إذا قطع، والقِدَّةُ: الطريقةُ والفرقة من الناس.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ الظنُّ هنا بمعنى العلم واليقين، أي علمنا وأيقنَّا الآن، بعد سماعنا القرآن ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي لن نعجزه كائنين في الأرض، أينما كنا فيها، إن أراد بنا سوءاً أو مكروهاً ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ أي ولن نعجزه هاربين منه إلى السماء، فنحن في قبضة الله وسلطانه حيثما كنا، ولن نفلت من عقابه إن كفرنا به.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ﴾ أي آمنا بالله تعالى من غير تردد ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ فهو لا يخاف ﴿بَخْسًا﴾ أي نقصاً من ثوابه ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ أي ظلماً أو مكروهاً يغشاه، وفيه دليل على أن من حق الإيمان أن يجتنب المظالم.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ﴾ أي الجائرون عن طريق الحق،

وهو الإيمان والطاعة ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ أي طلبوا هدى، والتحري طلب الأحرى أي الأولى، أي توخَّوْا رشَداً عظيماً، يبلّغهم إلى دار الثواب.

﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾.

﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ أي وقوداً لجهنم، وفيه دليل على أن الجن يُعذَّبون في النار، واللهُ قادر أن يعذب النَّارَ بالنار.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ أي وأنه الحال والشأن أن لو استقام الإنسُ والجنُّ ﴿عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ طريقة الإسلام، وأطاعوا الله ورسوله ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ أي كثيراً وافراً، ينبت لهم الزرع، ويخرج لهم الضرع، وتخصيصهُ بالذكر، لأنه أصل المعاش والسعة.

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾.

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ﴾ أي لنختبرهم ونبتليهم في هذه التوسعة، أيشكرون أم يكفرون؟ ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ عن القرآن أو التوحيد ﴿يَسْلُكْهُ﴾ أي ندخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي شاقّاً، صعباً، شديداً، يعلو المعذَّب ويغلبه، لا يجد معه الإنسان الراحة والسعادة، يقال: تصعَّدني الأمرُ، أي شقَّ عليَّ، ونظير هذه الآية، قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ هذا من جملة الموحَىٰ به، أي المساجد مختصة به تعالى، وبعبادته[1] ﴿فَلَا تَدْعُوا۟﴾ أي لا تعبدوا فيها ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ أي غيره، فهي بيوت الله، بنيت لذكره وعبادته وتوحيده، لا ليمدح فيها الملوك والعظماء.

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ﴾ وهو الموحى به ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ يعني الرسول ﷺ، وإنما ذكر لفظ العبد للتواضع، فإنه واقع موقع كلامه عن نفسه، وللإشعار بما هو المقتضي لقيامه وعبادته، ولأنه أحب الأسماء إليه ﷺ وذلك حين كان يصلي ببطن نخلة ﴿كَادُوا۟﴾ أي الجن ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ أي متراكمين من ازدحامهم عليه، حرصاً على استماع القرآن، وتعجباً مما رأوا من عبادته، واقتداء أصحابه به قياماً، وركوعاً، وسجوداً، ولأنهم رأوا ما لم يروا مثله، وسمعوا ما لم يسمعوا بنظيره.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى﴾ أي أعبد ربي ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ﴾ أي بربي في العبادة ﴿أَحَدًا﴾ فليس ذلك ببدع، ولا مستنكر يوجب التعجب أو الإطباق على عداوتي.

﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾.

---

(١) كما روي في الحديث الشريف «إن بيوتي في الأرض المساجد، وإن حقاً على الله أن يُكرم من زاره فيها» أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود مرفوعاً، كما في الفتح الكبير ١/ ٣٨٥.

﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي مضرة ولا نفعاً، وإنما الضارُّ والنافع هو الله تعالى.

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾.

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ إن أرادني بسوء ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ مُلْتَجَأً التجىء إليه، وهذا بيان لعجزه ﷺ عن شؤون نفسه، بعد بيان عجزه عن شؤون غيره، والمُلتحَدُ: اسم الموضع وهو الملجأ.

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾.

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي لا أملك لكم ضراً ولا رشداً، لكنْ أبلّغ بلاغاً فإنما أنا مرسل ومبلِّغ، والبلاغ بمعنى التبليغ ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ التي أرسلني بها ربي ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أي مخلدين في النار بلا نهاية.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾.

﴿حَتَّىٰٓ﴾ يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال، كأنه قيل: لا يزالون على ما هم عليه حتى ﴿إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ من فنون العذاب في الآخرة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ عند حلول العذاب بهم ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ أهم أم المؤمنون؟.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ﴾ أي ما أدري ﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾؟ من العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ أي غايةً بعيدة، فإنه رد لما قاله المشركون عند سماعهم

ذلك متى يكون ذلك الموعود؟ إنكاراً له واستهزاءً به، فقيل: قل لهم إنه كائن لا محالة، وأما وقته فما أدري متى يكون؟.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ أي هو سبحانه عالم الغيب ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾ أي فلا يطلع ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ من خلقه اطلاعاً كاملاً موجباً لعين اليقين.

﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾.

﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ أي إلا من ارتضاه من رسله الكرام، فيطلعه على بعض الأمور الغيبية، كما أطْلَع عيسى عليه السلام على بعض المغيبات لمعجزة له ﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾ وفي هذا إبطال الكهانة والتنجيم ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ﴾ أي يدخل ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ أي من بين يدي المرتَضىٰ ﴿رَصَدًا﴾ أي حفظة من الملائكة، يحفظونه من الشياطين، ويعصمونه من وساوسهم، حتى يُبلِّغ الوحي الإلهي.

﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾.

﴿لِّيَعْلَمَ﴾ أي ليعلم الله تعالى ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟﴾ أي الرسل ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ كاملة بلا زيادة ولا نقصان، ورسالات ربهم عبارة عن الغيب والوحي، والمعنى: ليعلم الله موجوداً حال وجوده، كما كان يعلمه قبل وجوده ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي أحاط علم الله تعالى بما قام به الرسل، ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا﴾ أي وأحصى الله وضبط ما خلق، وعرف كل شيء

خَلَقه، حتى القطرُ والرمل، فلم يخف عليه شيء في هذه الكائنات، والله بكل شيء عليم، على وجه الدقة والتفصيل. والله أعلم بمراده.

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الجن»

* * *

obeikandl.com

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

مكية وهي عشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ أي المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه، أي تلفَّف بها، وكان ﷺ نائماً بالليل فأُمر بالقيام للصلاة، وذلك أول ما جاء جبريل عليه السلام بالوحي عليه، فرجع إلى خديجة وهو يقول: زملوني، زملوني، وتخصيص وصف التزمل بالخطاب، للملاطفة والتأنيس.

﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾.

﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ أي قم إلى الصلاة وداوم عليها، وكان قيام الليل فريضة في ابتداء الإسلام عليه ﷺ، روى مسلم عن سعد بن هشام قال: «انطلقتُ إلى عائشة، فقلت: «أنبئيني عن خُلُق رسول الله ﷺ، قالت: ألستَ تقرأ القرآن؟ قلت بلى، قالت: فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن، فقلت: فقيام رسول الله ﷺ يا أم المؤمنين؟ قالت: ألست تقرأ المزمِّل؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله افترض القيام في أول هذه السورة، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً، حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها اثني

عشر شهراً في السماء، ثم أنزل التخفيف في آخر السورة، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة»[1] ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء من الليل، أي إلا القليل منه.

﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣﴾.

﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ بدل من الليل الباقي، أي قُمْ نصف الليل لعبادة ربك ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ﴾ أي انقص القيام من النصف إلى الثلث ﴿قَلِيلًا﴾ أي نقصاً قليلاً، بحيث لا ينحطُّ إلى نصف النصف.

﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾.

﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ أي زد القيام على النصف المقارن له فالمعنى: تخييره ﷺ بين أن يقوم نصفه، أو أقل منه، أو أكثر ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ﴾ في أثناء القيام، أي اقرأه على تؤدةٍ، وتبيين حروف، بحيث يتمكن السامع من عدِّها ﴿تَرْتِيلًا﴾ بليغاً يعين الإنسان على فهم كلام الله، والترتيل: تنسيقُ الشيء، أمره تعالى بترتيل القرآن، حتى يتمكن الخاطر من التأمل، في حقائق تلك الآيات، فعند ذكر الله يستشعر عظمته، وعند ذكر الوعد والوعيد، يحصل الرجاءُ والخوفُ، وحينئذ يستنير القلب بنور المعرفة والمناجاة، عن سهل بن سعد أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرؤوا القرآن قبل أن يقرأه أقوام، يقيمونه كما يقام السهم، يتعجل أجرَه ولا يتأجله»[2] وفي رواية «لا يجاوز تراقيهم».

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين رقم ٧٤٦، وهو طرف من حديث طويل، فيه أحكام شرعية كثيرة.

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة رقم ٨٣١ باب ما يجزىء الأميَّ والأعجمي من القراءة، ولفظه كما في أبي داود: «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقترىء ـ أي نتبارى في القراءة فقال: الحمد لله، كتاب الله واحد، وفيكم الأحمر وفيكم الأبيضُ، وفيكم الأسود، اقرؤوه قبل أن يقرأه أقوام، يقيمونه كما يقوم السهم..» الحديث.

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾.

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ ﴾ سننزل عليك يا محمد قرآناً عظيماً جليلاً، وإيثارُ الإلقاء لقوله تعالى ﴿ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ أي كلاماً جليلاً، عَظُم قدرُه، وكَبُرَ خطرهُ، وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنه: كلاماً عظيماً، ووجهُ النظم أنه تعالى لما أمره بصلاة الليل، فكأنه قال إنما أمرتك بصلاة الليل، لأنا سنلقي عليك قولاً عظيماً، فلا بدَّ أن تسعى في جعل نفسك، مهيأة مستعدة، لذلك القول العظيم، ولا يحصل ذلك الاستعداد إلاَّ بصلاة الليل، ولقد كان رسول الله ﷺ يلاقي عند نزوله شدة، لأنه كلام الجبار جلَّ وعلا، روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصِمُ عنه وإن جبينه ليتفصَّد عرقاً» قولها «فيفصم» أي ينفصل، و «يتفصَّدُ» أي يجري عرقه كما يجري الدم من الفصد.

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ ﴾ أي العبادة التي تنشأ بالليل، أي تحدث، أو ساعات الليل، وكان زين العابدين يصلي بين العشائين ويقول: هذه ناشئة الليل وهو قول سعيد بن جبير والضحاك والكسائي، وقالوا: لأن ناشئة الليل التي منها يبتدىء سواد الليل ﴿ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا ﴾ أي هي أشد كُلفةً على المصلي من صلاة النهار، فلا بد من الاعتناء بالقيام، ثم أهي أشد موافقة من الخشوع والإخلاص، فكأنه تعالى قال: أمرتك بصلاة الليل، لأن موافقة القلب واللسان فيه أكمل، والخواطر إلى المكاشفات الروحانية أتم ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ أي وأشد مقالاً، وأثبت قراءة لحضور القلب، وهدوء الأصوات، والحاصل أن عبادة الليل أشد نشاطاً، وأتم إخلاصاً، وأبعد عن الرياء، وأكثر بركة وثواباً.

﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ ﴾.

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ أي تقلباً وتصرفاً في مهماتك، واشتغالاً بشواغلك فلا تستطيع أن تتفرغ للعبادة، فعليك بها في الليل، وهذا بيان للداعي إلى قيام الليل.

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨﴾.

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ أي دم على ذكره ليلاً ونهاراً، على أيِّ وجهٍ كان، من تسبيح، وتهليل، وتحميد، وصلاة، وقراءة، ودراسة علم ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ أي انقطع إليه تعالى بمجامع الهمة، واستغراق العزيمة في مراقبته تعالى، والتبتلُ: الانقطاع إلى الله تعالى، وطلب الخير منه دون غيره، وحيث لم يكن ذلك إلاَّ بتجريد نفسه ﷺ عن العلائق الصادَّة عما سواه قيل: تبتيلاً.

﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾.

﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ أي هذا الخالق هو المالك لمشارق الأرض ومغاربها ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ أي إذا علمت أنه ملك المشرق والمغرب ولا معبود إلا هو، فاتخذه كافياً لأمورك، واعتمد عليه جلَّ وعلا.

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠﴾.

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي اصبر على أذى هؤلاء السفهاء المجرمين، على ما يقولون في ذات الله من الصاحبة والولد، وفيك من الساحر والشاعر ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ بأن تجانبهم وتداريهم، وتكل أمورهم إلى ربهم، كما يعرب قوله تعالى:

﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١﴾.

﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ أي دعني وإياهم، ووكِّل أمرهم إليَّ فإني أكفيكهم

﴿أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ﴾ أي أرباب التنعم يريد صناديد قريش ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ أي أمهلهم زماناً قليلاً.

﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾﴾.

﴿إِنَّ لَدَيْنَآ﴾ للكافرين ﴿أَنكَالًا﴾ جمع نكل وهو القيد الثقيل ﴿وَجَحِيمًا﴾ أي ناراً محرقة.

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾.

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ ينشب في الحلوق ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ ونوعاً آخر من العذاب مؤلماً، لا يقادر قدره، ولا يدرك كنهه.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ﴾ أي تضطرب وتزلزل وهو يوم القيامة ﴿وَٱلْجِبَالُ﴾ مع صلابتها وارتفاعها ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا﴾ رملاً مجتمعاً من كثب الشيء إذا جمعه الفعيل بمعنى المفعول ﴿مَّهِيلًا﴾ منثوراً.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ يا أهل مكة ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ يشهد يوم القيامة بما صدر عنكم ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ وهو موسى عليه السلام، وعدم تعيينه لعدم دخوله في التشبيه، وكونه معلوماً من سياق الآيات.

﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ .

﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾ كما عصيتم الرسول محمداً ﷺ ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ جيء به للتنبيه على أنه سيحيق بهؤلاء، ما حاق بأولئك لا محالة، والوبيلُ: الوخيمُ وزناً ومعنى.

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ﴾ .

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ ﴾ أنفسكم ﴿ إِن كَفَرْتُمْ ﴾ إن بقيتم على الكفر ﴿ يَوْمًا ﴾ أي عذاب يوم ﴿ يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ ﴾ من شدة هوله ﴿ شِيبًا ﴾ شيوخاً جمع أشيب بطريق التمثيل، فهو كناية عن الشدة والمحنة، وليس المراد أن هول ذلك اليوم، يجعل الولدان شيباً حقيقة، لأن إيصال الألم والخوف إلى الصبيان، غير جائز يوم القيامة، فالموضوع من باب التشبيه، والهموم والأحزان، إذا تفاقمت على المرء أضعفت قواه، وأسرع فيه الشيبُ.

﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ ﴾ .

﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ﴾ أي منشقٌّ بشدة ذلك اليوم، أي السماء على عظمها وإحكامها، تنفطر لشدة ذلك اليوم، فما ظنك بغيرها من الخلائق؟ ﴿ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴾ أي وعد الله تعالى يكون لا محالة.

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴾ .

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ ﴾ أي الآيات الناطقة بالوعيد ﴿ تَذْكِرَةٌ ﴾ أي موعظة بليغة ﴿ فَمَن شَآءَ ﴾ أن يتعظ ﴿ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ بالتقوى والخشية والعمل الصالح، فإنه المنهاج الموصل إلى مرضاته سبحانه وتعالى.

﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾.

﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ ﴾ أي أقلَّ منهما، فاستعير الأدنى وهو الأقرب، للأقل، لأن المسافة بين الشيئين إذا دنت، قلَّ ما بينهما ﴿ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾ أي تقوم نصفه، وثلثه ﴿ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ أي جماعة من أصحابك ﴿ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ أي والله جلَّ وعلا هو العالم بمقادير ما تقومون وما تنامون، لا يعلم مقادر ساعاتها كما هي إلا الله ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ ﴾ أي علم أن لن تطيقوا قيامه على هذه المقادر، إلاّ بشدة ومشقة ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي فعاد عليكم بالعفو، والتخفيف، برفع التبعة كما رفع عن التائب، فإذا كان الأمر كما ذكر ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ ﴾ في الصلاة، والأمر للوجوب ﴿ مَا تَيَسَّرَ ﴾ عليكم ﴿ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ أو فصلُّوا ما تيسَّر عليكم من صلاة الليل، عبّر عن الصلاة بالقرآءة كما عبَّر عنها بسائر أركانها، قيل: كان التهجد واجباً على التخيير المذكور فعَسُر عليهم القيام به فنسخ به، ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ﴾ أي من يشقُّ عليه قيامُ الليل، وهي حكمة أخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي يسافرون للتجارة وطلب الرزق ﴿ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ أي يطلبون رزقه بالتجارة ﴿ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ يعني الغزاة والمجاهدين، سوَّىٰ بين المجاهد والمكتسب، لأن كسب الحلال جهاد، روي عن ابن مسعود أنه قال: «أيمّا رجل جلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين، صابراً محتسباً، فباعه بسعر يومه، كان عند الله بمنزلة الشهداء،

ثم قرأ: ﴿وآخرون يضربون في الأرض﴾ الآية ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ كرر الأمر بالتيسير لشدة احتياطهم، وللتأكيد ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي أدوا الصلوات الخمس المفروضة عليكم ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الواجبة في أموالكم ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بالإنفاقات في سبيل الخيرات، وإنما أضافه إلى نفسه، لئلا يمنَّ على الفقير فيما يتصدق به ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ من الحلال، والإخلاص ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ﴾ أي تجدوا ثوابه ﴿عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ مما خلفتم ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في مجامع أحوالكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يستر ويخفف، والله أعلم بمراده.

والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة المزمّل»

* * *

obeikandl.com

سورة المدثر

مكية وهي ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

روى البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يحدِّث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: فبينا أنا أمشي، سمعتُ صوتاً من السماء، فرفعتُ رأسي، فإذا المَلَكُ الذي جاءني بحراء، جالسٌ على كرسيّ بين السماء والأرض، فجئثت منه رُعْبَاً، حتى هويتُ إلى الأرض، فجئتُ أهلي فقلتُ: زمِّلوني، زمِّلوني، فدثَّروني، فأنزل الله عز وجل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ أي يا أيها المتلفّفُ بثيابه، من الدِّثار وهو كل ما كان من الثياب فوق الملابس الداخلية، وأصله المتدثر، فأدغم.

﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾.

﴿قُمْ﴾ من مضجعك قيام عزم وتصميم ﴿فَأَنذِرْ﴾ أي فحذّر قومك من عذاب الله كقوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ أو مطلق للتعميم، حسبما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ والمراد فاشتغل بفعل الإنذار.

﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ ﴾ .

﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ أي خُصَّ ربك بالتكبير، وهو التعظيم، ويروى أنه لمّا نزلت قال ﷺ: «الله أكبر» وأيقن أنه الوحي، لأن الشيطان لا يأمر بذلك، فإن قلت: وما كانت الصلاة واجبة في ذلك الوقت، قلنا: لا يبعد أنه ﷺ كانت له تطوعاً فأمر بأن يكبّر فيها، أو للدلالة على أن المقصود أولاً أن يكبّر ربه وينزّهه من الشرك، فإنه أول ما وجب.

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ ﴾ .

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ وذلك بصيانتها عن النجاسة، وغسلها بعد تلطخها، وبتقصيرها، فإن طولها يؤدي إلى جر الذيول على القاذورات، وهو أول ما أمر به ﷺ من رفض العادات المذمومة، وقيل: هو أمرٌ بتطهير النفس، مما يستقذر من الأفعال، يقال: فلانٌ طاهرُ الثوب والذيل، إذا وصفوه بالنقاء عن المعائب ومدانس الأخلاق.

﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ .

﴿ وَالرُّجْزَ ﴾ أي عبادة الأوثان وما يؤدي إليها ﴿ فَاهْجُرْ ﴾ اثبت على هجره، لأنه ﷺ كان بريئاً من ذلك، وأصلُ الرجزِ: العذابُ، سميت الأوثان رجزاً لأنها تؤدي إلى العذاب، وقال الفخر الرازي: الرجزُ اسم للقبيح المستقذر.

﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ ﴾ .

﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ أي لا تعط مستكثراً، أي رائياً لما تعطيه كثيراً،

لأن الكريم يستقل ما يعطي وإن كان كثيراً، وقيل: معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره[1].

﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾.

﴿ وَلِرَبِّكَ ﴾ أي لأمره ﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ على أذية المشركين لأجل أمر ربك.

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ ﴾.

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴾ أي نفخ في الصور، وهو من النقر بمعنى التصويت، والفاء للسببية، كأنه قيل: اصبر على أذاهم، فبين أيديهم يوم هائل، يلقون فيه عاقبة أذاهم، وتلقى عاقبة صبرك.

﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ ﴾.

﴿ فَذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى ذلك اليوم الشديد ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ أي فيوم الحساب يوم عسير.

﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ﴾.

﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ تأكيد لعسره عليهم، مشعرٌ بيسره على المؤمنين، واختلف في كون المراد به النفخة الأولى أو الثانية، والحق أنها الثانية إذ هي التي يختص عسرها بالكافرين.

---

(١) هذا قول الحسن البصري واختاره ابن جرير الطبري، وروي عن ابن عباس أن المعنى: لا تعط العطية تلتمس أكثر منها، وهذا وإن كان حلالاً بالنسبة لعامة المسلمين، لكنه مخلٌّ بمنصب النبوة، لأن هدف الأنبياء أسمى وأعلى من أن تكون الدنيا غاية وهدفاً لهم، وأما غير الأنبياء فذلك جائز لهم للحديث الشريف «تهادوا تحابوا».

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ .

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ نزلت في «الوليد بن المغيرة» أي ذرني وحدي معه، فإني أكفيكه، أو هو حال من العائد المحذوف، أي من خلقته فريداً لا مال له، ولا ولد، وكان يقول: أنا الوحيد وليس في العرب نظيري.

﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ ﴾ .

﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴾ أي مبسوطاً، كثيراً، واسعاً، فقد كان له الزرع، والضرعُ، والتجارة.

﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ ﴾ .

﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ أي أولاداً حضوراً معه بمكة، لا يفارقونه، ولا يحتاج أن يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه، و كان له عشرة بنين، فأسلم منهم ثلاثة: خالد، وعمارة، وهشام.

﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ﴾ .

﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴾ وبسطت له الجاه والرياسة حتى لُقِّب «ريحانة قريش» والوحيد.

﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾ على ما أوتيه و «ثم» ههنا معناه التعجب، كما تقول لصاحبك: أنزلتك داري، وأطعمتك، ثم أنت تشتمني!؟ وهو استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه، فيرجو أن أزيد في ماله وولده من غير شكر.

﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾﴾.

﴿كَلَّآ ۖ﴾ ردع له وقطع لرجائه، فلم يزل بعد نزول الآية، في نقصان من المال والجاه حتى هلك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ أي معانداً للقرآن وجاحداً، وكان كفره كفر عناد، وهو أن يعرفه بقلبه وينكره بلسانه، وهذا أقبح الكفر.

﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾.

﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ أي سأغشيه عقبة شاقة المصعد، بدل ما يطمع فيه من الزيادة في العطاء، وهو مثل لما يلقى من الشدائد.

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ أي فكّر ماذا يقول في شأن القرآن ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ما يقول وهيأه.

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿فَقُتِلَ﴾ أي لُعن ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾؟! تعجيب من تقديره، أي قاتله الله وأخزاه على تلك الكلمات. السفيهة التي ردَّدها في نفسه، والغرض منه الاستهزاء به، على كلامه السخيف. روي أن الوليد قال لبني مخزوم: والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً، ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه، فقالت قريش والله لقد صبأ الوليد، والله لو صبأ لتصبأنَّ قريش كلُّها فقال ابن أخيه أبو جهل: أنا أكفيكموه، فقعد عنده حزيناً، وكلمه بما أحماه، فقام فأتاهم فقال: تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يخنق؟ وتقولون: إنه كاهن، فهل رأيتموه يتكهن؟ وتزعمون أنه

شاعر، فهل رأيتموه يتعاطى شعراً؟ وتزعمون أنه كذاب، فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب؟ فقالوا في كل ذلك اللهم لا، ثم قالوا فما هو؟ ففكر فقال ما هو إلا ساحر، فارتجّ النادي فرحاً، وتفرقوا معجبين بقوله، فنزلت فيه الآيات.

﴿ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

﴿ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ كرره للتأكيد، و «ثُمَّ» يشعر بأن الدعاء الثاني أبلغ من الأول أي قاتله الله ما أروع تفكيره؟.

﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ﴾.

﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴾ أي أجال النظر في القرآن مرة بعد مرة.

﴿ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

﴿ ثُمَّ عَبَسَ ﴾ قطَّب وجهه، لمَّا لم يجد فيه مطعناً، ولم يدر ماذا يقول؟ ﴿ وَبَسَرَ ﴾ زاد في التقبض والكلوح، قال الليث: عبس إذا قطّب ما بين عينيه، فإن أبدى عن أسنانه في عبوسه قيل: كلح، فإن اهتم لذلك وفكَّر فيه قيل: بسر.

﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ ﴾ أي أدبر عن الحق والإيمان ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ أي تكبر عن قبول ما جاء به الرسول ﷺ وعن اتباعه، وإيراد «ثم» في المعطوفات، لبيان أن بين الأفعال المعطوفة تراخياً.

﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ ﴾.

﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ﴾ أي ما هذا ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ أي يُروى عن السحرة والفاء للدلالة على أنه خطرت هذه الكلمة بباله، فتفوَّه بها، من غير تلبث وتفكر.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ أي ما هذا القرآن إلا كلام البشر، تأكيد لما قبله، ولذلك لم يعطف عليها.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿سَأُصْلِيهِ﴾ أي سأدخله ﴿سَقَرَ﴾ علم لجهنم وقيل آخر دركاتها.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ ؟ أي وما أعلمك أي شيء هي؟.

﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿لَا تُبْقِي﴾ أي هي لا تبقي لحماً ﴿وَلَا تَذَرُ﴾ عظماً إلا أهلكته.

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ أي هي لواحة للبشر جمع بشرة، وهي ظاهر الجلد، أي مسودة للجلود ومحرقة لها، وقيل: تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سواداً من الليل، وقيل تلوح للناس[1]، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾.

---

(١) هذا القول هو الأظهر والأرجح أي أن نار جهنم تلوح وتظهر لأنظار الكفار والفجار، من مسافات بعيدة كما قال سبحانه: ﴿وبُرِّزت الجحيم للغاوين﴾ وأما القول الأول =

﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ أي ملكاً يلي أمرها، وهذا العدد إنما صار سبباً لفتنة الكفار من وجهين: ١ ـ يستهزئون ويقولون: لمَ لم يكونوا عشرين ٢ ـ ويقولون كيف يكونوا وافين بتعذيب أكثر خلق العالم من أول الخلق إلى يوم القيامة، فمدار هذين السؤالين عدم الاعتراف بكمال قدرة الله تعالى ومن آمن واعترف بكونه قادراً على جميع المقدورات، وعلم أن أحوال القيامة على خلاف أحوال الدنيا، زال عن قلبه هذه الاستبعادات!! وقد كان ﷺ يعلم من حال كفار قريش، أنه متى أخبرهم بهذا العدد يستهزئون به، فلما ذكره علم كل عاقل أن مقصوده منه إنما هو التبليغ، وأنه لا يبالي في ذلك بتكذيب المكذبين.

﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾ .

﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ ﴾ أي المدبِّرين لأمرها، القائمين بتعذيب أهلها ﴿ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ﴾ ليخالفوا جنس المعذبين، لأن الجنسية مظنة الرأفة والرحمة، ولأنهم أقوى الخلق، وأشدُّهم بأساً، روي أنه لما نزل قال أبو جهل لقريش: أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم؟ فقال أبو الأشدّ:

= أنها محرقة للجلود، مسوّدة لها، وأن البشر جمع بشرة وهي ظاهر جلد الإنسان، فأيُّ فائدة في هذا بعد قوله تعالى: ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ إذا كانت تأكل اللحوم والعروق والعظام والجلود؟.

أنا أكفيكم سبعة عشر، فاكفوني أنتم اثنين؟ فنزلت الآية ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي ما جعلنا عددهم، وهو تسعة عشر، وليس المراد مجرد جعل عددهم، ذلك العدد المعين، بل ذكره في القرآن، إذ بذلك يتحقق افتتانهم، باستبعادهم واستهزائهم به، وعليه يدور ما سيأتي من استيقان أهل الكتاب، وازدياد المؤمنين إيماناً ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي ليكتسبوا اليقين بنبوته ﷺ، وصدق القرآن، لموافقته لما في كتابهم، فأهل الكتاب يقرؤون في كتابهم أن عدد الزبانية تسعة عشر، لكنهم ما كانوا يعوّلون على ذلك، لعلمهم تطرق التحريف إلى هذين الكتابين، فلما سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ، قوي إيمانهم بذلك ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ أي يزداد إيمانهم بما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك ﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ أي ولا يشك ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ في عددهم، وهو تأكيد لما قبله من الاستيقان، ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك أو نفاق فيكون إخباراً بما سيكون بعد الهجرة، وعلى هذا تصير الآية معجزة ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ المصرُّون على التكذيب ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ أيْ أيَّ شيء أراد الله بهذا العدد، المستغرب استغراب المثل، والذي يشبه المثل في الغرابة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما أضل الله من أنكر عدد الخزنة، وهدى من صدَّق به كذلك ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ﴾ من عباده، لصرف اختياره، إلى جانب الضلال ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ هدايته، لصرف اختياره عند مشاهدة تلك الآيات، إلى جانب الهدى، وفيه دليل خلق الأفعال، ووصف الله تعالى بالهداية والإضلال ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ جموع خلقه على ما هم عليه، وكأنَّ القوم استقلوا ذلك العَدد، فقال تعالى: ﴿وما يعلم جنود ربك﴾ فهب أن هؤلاء تسعة عشر، ولكل واحد منهم من الأعوان والجنود، ما لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، وفي هذا العدد حكمة لا يعلمها إلا هو ﴿إِلَّا هُوَ﴾ إذ لا سبيل لأحد حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها ﴿وَمَا هِيَ﴾ أي وما سقر وصفتها وعدة الخزنة ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ أي تذكرة وموعظة للناس.

﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

﴿ كَلَّا ﴾ ردع لمن أنكرها، أي ليرتدع هؤلاء السفهاء عن السخرية والاستهزاء، فليس كما زعموا أنهم يصارعون الملائكة، ثم أقسم لهم ببعض الآيات الكونية فقال ﴿ وَٱلْقَمَرِ ﴾ أي أقسم به لعظم منافعه.

﴿ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

﴿ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴾ ولى وذهب.

﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴾ أضاء وكشف.

﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

﴿ إِنَّهَا ﴾ أي جهنم ﴿ لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴾ أي لإحدى البلايا، أو الدواهي الكبرى، ومعنى كونها إحداهن، أنها من بينهن واحدة في العظم، كما تقول: هو أحد الرجال.

﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾ تمييز، أي لإحدى الكبر إنذاراً، تنذرهم بما وراءهم من خطر.

﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ أي نذيراً لمن شاء منكم أن يسبق إلى الخير فيهديه الله تعالى، أو لم يشأ ذلك فيضله، وقد تمسك بهذه الآية،

من يرى أن العبد غير مجبور على الفعل، وأنه متمكنٌ من فعل نفسه، وهم المنكرون للقَدَر، وجوابه أن فعل العبد، معلَّق على مشيئته تعالى، لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ التاء ليست بتأنيث رهن، لأن فعيلاً يستوي فيه المذكر والمؤنث، لا تدخله التاء، وإنما هي اسم بمعنى الرهن، والمعنى: كل نفس مرهونة عند الله تعالى.

﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ فإنهم فاكون رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم، كما يفك الراهن رهنه بأداء الدين.

﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي هم في جنات النعيم، في حدائق وبساتين، يتساءلون عن الكفار والفُجَّار.

﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾.

﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي يسألونهم عن أحوالهم، وعن سبب دخولهم النار، وسؤالهم لهم إنما هو سؤال تعنيفٍ وتوبيخ، لإدخال الحسرة على قلوبهم، لا سؤال استفسار، فهم عارفون بالسبب الذي أدخلهم نار جهنم، وهذا كما يقال لإنسان قاتل أو سارق: ما الذي أدخلك في السجن؟.

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾؟ أي يسألونهم قائلين: أيَّ شيء أدخلكم في نار جهنم؟ ولماذا صرتم من أهل الجحيم؟.

﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣)﴾.

﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ لله تعالى في الدنيا.

﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤)﴾.

﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ كما يطعم المسلمون، وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥)﴾.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ أي نشرع بالباطل مع الشارعين فيه.

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦)﴾.

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ أي نكذِّب بيوم الجزاء والحساب.

﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧)﴾.

﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ أي حتى جاءنا الموت، أي وكنا مع ذلك كله مكذبين بالقيامة إلى آخر العمر.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)﴾.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ لو شفعوا لهم جميعاً من الملائكة، والنبيين، والصالحين، لأنها للمؤمنين دون الكافرين، وقال ابن مسعود

رضي الله عنه: تشفع الملائكة، والنبيون والشهداء والصالحون فلا يبقى في النار إلا أربعة ثم تلا: ﴿قالوا لم نك من المصلين﴾ الآيات.

﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾؟ وهي القرآن، أي فإذا كان الأمر على ما ذُكر، فأيُّ شيءٍ حصل لهم، معرضين عن القرآن، مع تعاضد موجبات الإقبال عليه.

﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ ﴾.

﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ ﴾ أي حمر الوحش ﴿ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ أي شديدة النفار.

﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾.

﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ القسورةُ: الأسد، وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى، فقد شبَّههم بالحمر الوحشية النافرة، التي هربت من الأسد، من شدة الخوف والفزع، فكذلك ينفرون من الداعي محمد ﷺ الذي يدعوهم إلى الخير والفلاح.

﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ ﴾.

﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴾ عطف على مقدَّر، كأنه قيل: لا يكتفون بتلك التذكرة، بل يريد كل واحد منهم، أن يُؤتى قراطيس تنشر وتقرأ، كما قالوا: ﴿ولَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُه﴾ نُؤمر فيه باتباعك.

﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عن تلك الإرادة، وزجر عن اقتراح الآيات ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ فلذلك أعرضوا عن التذكرة.

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿كَلَّآ﴾ حقاً ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾ بليغة كافية.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ انتفع به، وحاز بسببه سعادة الدارين.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ وهو تصريح بأن أفعال العباد بمشيئة الله تعالى ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ حقيق بأن يُتقى عقابُه، ويؤمن به ويُطاع ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ وحقيق بأن يغفر ذنوب عباده، سيما المتقين منهم.

والله أعلم بمراده، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة المدثر»

* * *

سُورَةُ القِيَامَةِ

مكية وهي أربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١﴾.

﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ إدخال «لا» النافية، على فعل القسم للتأكيد، شائع في كلامهم، كقولك: لا والله ما ذاك، كما تقول: والله ما ذلك، لكنه أبلغ في الرد مع إثباتها، وقيل: هي للنفي لكن لا لنفي الإقسام بل لنفي ما ينبىء هو عنه من إعظام المقسم به وتفخيمه، كأن معنى لا أقسم بكذا لا أعظمه بإقسامي به حق إعظامه فإنه حقيق بأكثر من ذلك ﴿بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي بيوم الحساب والجزاء، وهو يوم الحشر الأكبر، كما قال سبحانه: ﴿ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه﴾.

﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾.

﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ الجمهور على أنه قسم آخر، وعن الحسن أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوامة، أي النفس المتقية التي تلوم على التقصير في التقوى، قال ابن عباس رضي الله عنه: إن كل نفس تلوم صاحبها يوم القيامة، سواء كانت برة، أو فاجرة، أما البرَّةُ فتلوم صاحبها

لِمَ لمْ يزد من فعل الخير، وأما الفاجرة لِمَ لمْ تشتغل بطاعة الله، والمناسبة بين القيامة وبين النفس اللوامة، لأن المقصود من القيامة، إظهار أحوال النفوس، أعني سعادتها أو شقاوتها، وجواب القسم «لتبعثُنَّ» يدل عليه قوله تعالى.

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾﴾.

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافر المنكر للبعث والنشور ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾؟ بعد تفرقها، ورجوعها رفاتاً، مختلطاً بالتراب وبعدما نسفتها الريح، أو ألقتها في البحار.

﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾.

﴿بَلَىٰ﴾ نجمعها ﴿قَٰدِرِينَ﴾ حال أي نجمعها قادرين على جمعها، وإعادتها كما كانت ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ كما كانت في الدنيا، بلا نقصان وتفاوت مع صغرها، فكيف بكبار العظام؟.

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾﴾.

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ عطف على أيحسب ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ أي ليدوم على فجوره فيما يستقبل من الزمان، ولا يرعوي عنه.

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾﴾.

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؟ أي متى يكون يوم القيامة؟ استبعاداً أو استهزاء.

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾﴾.

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ أي تحيَّر فزعاً، مأخوذ من بَرِق الرجلُ، إذا نظر إلى

البرق فدُهش بصرُه، ثم يستعمل في كل حيرة، ومتى تحصل هذه الحالة؟ قيل: عند البعث، وقيل: عند رؤية جهنم، قال تعالى: ﴿ليومٍ تشخص فيه الأبصار﴾.

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨﴾.

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ أي ذهب ضوؤه وأظلم.

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾.

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ أي التقيا في الطلوع من المغرب.

﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠﴾.

﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافر المكذب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم إذ تقع هذه الأمور ﴿أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾؟ أي أين المهرب؟.

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١﴾.

﴿كَلَّا﴾ ردٌّ لكلامه السابق وهو طلب المفر، أي لا ملجأ لهم يهربون إليه ﴿لَا وَزَرَ﴾ هو اسم للملجأ، ومعنى الآية: أنه لا شيء يعصمهم من أمر الله تعالى.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢﴾.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ خاصة ﴿يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ مستقر العباد من الجنة أو النار.

﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣﴾.

﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ أي يخبر كل امرىء براً كان أو فاجراً، بما قدَّم قبل موته، وما أخّر بعد موته، من سنة حسنة، أو سيئة يُعمل بها.

﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾.

﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ شاهد والهاء للمبالغة.

﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾.

﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ أي ولو أتى بكل معذرة، وجادل عن نفسه، لأنه لا ينفعه ذلك، أي ينبأ الإنسان بأعماله، وهو شاهد على نفسه، لأن جوارحه تنطق بذلك.

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾.

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ ﴾ أيها الرسول ﴿ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ بالقرآن قبل أن يتم وحيه، مخافة أن ينفلت منك.

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ ﴾ في صدرك ﴿ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ وإثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي.

﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾.

﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ ﴾ بلسان جبريل عليه السلام، وإسناد القراءة إلى نون العظمة للمبالغة في ايجاب التأني ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ أي فأنصتْ إلى قراءته، واستمع إليه، حتى يفرغ جبريل من التلاوة.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أي فاتبع قراءته، وتفكَّرْ فيه، حتى يرسخ في ذهنك، ثم نبين ما أشكل عليك من معانيه، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾[1] عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان ممَّا يحرك به شفتيه[2]، قال ابن عباس: أنا أحركهما كما كان رسول الله ﷺ يحرّكُهما، فحرَّك شفتيه، فأنزل الله عز وجل: ﴿لا تحرك به لسانك﴾ الآية قال: فاستمعْ وأنصتْ، ثم علينا أن تقرأه، قال: فكان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل عليه السلام بعد ذلك استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما أقرأه»[3].

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿كَلَّا﴾ ردع عن إنكار البعث ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أي بل أنتم يا بني آدم لما خُلقتم من عجل، وجُبلتم عليه، تعجلون في كل شيء، ولذلك تحبون عاجلة الدنيا وشهواتها.

﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ فلا تعملون لها.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾.

---

(١) سورة طه، آية: ١١٤.

(٢) أي كان كثيراً ما يفعل ذلك، ويلقى من ذلك صعوبة وشدة.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة القيامة ٨/٥٢٣ وفي بدء الوحي ١/٢٨ ومسلم في كتاب الصلاة رقم ٤٤٨.

﴿وُجُوهٌ﴾ هي وجوه المؤمنين ﴿يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ أي حسنة ناعمة، بهيّة مضيئة، يشاهد عليها نضرة النعيم، يقال: نضرُ الوجه بالضم نضارة وهي الحسنُ.

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي تنظر إلى ربها عياناً، بلا كيفية، ولا جهة ولا ثبوت مسافة، تراه مستغرقة في مطالعة جماله، وجمهور أهل السنة، يتمسكون بهذه الآية، في إثبات أن المؤمنين، يرون الله تعالى يوم القيامة، والمعتزلة قالوا: معناه منتظرة إلى إنعامه، ورُدَّ بأن الانتظار لا يسند إلى الوجه، مع أن الانتظار لا يليق في دار القرار، وقال الأزهري: العرب لا تقول: نظرتُ إلى الشيء بمعنى انتظرته، وإنما تقول نظرتُ فلاناً، أي انتظرته، ومما يشهد لقول أهل السنَّة ما رواه الشيخان عن جرير بن عبد الله قال: «كنا عند رسول الله ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر، وقال: «إنكم سترون ربكم عياناً، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته..»[1] الحديث.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ أي كالحة شديدة العبوسة، وهي وجوه الكفرة، أظلمت ألوانها، وعدمت آثار السرور، لأنها قد أيقنت أن العذاب نازل بها.

﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾.

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٥٤ ومسلم رقم ٢٨٢٩ وهو حديث طويل في رؤية المؤمنين لربهم في جنة النعيم.

﴿تَظُنُّ﴾ أي تتوقع وتستيقن، والمراد بالوجوه أربابها ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا﴾ أمر عظيم من العذاب ﴿فَاقِرَةٌ﴾ تقصم فَقَار الظهر.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة، كأنه قيل: ارتدعوا عن ذلك، وتنبهوا لما بين أيديكم من المخاطر والأهوال ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروح ﴿ٱلتَّرَاقِيَ﴾ أي العظام المكتنفة لثغرة النحر.

﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾ أي قال من حضر: من يرقيه؟ أيْ أيّ طبيبٍ يداويه وينجيه مما نزل به؟.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿وَظَنَّ﴾ أي أيقن المحتضر أنه سيفارق الأهل والمال والولد، وعبَّر بالظن لأن الإنسان ما دام يبقى روحه متعلقاً ببدنه، فإنه يطمع في الحياة ﴿أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ أن هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا، والآية دالة على أن الروح باقية بعد موت البدن، لأنه تعالى سمى الموتَ فراقاً، والفراقُ صفةٌ تستدعي الموصوف.

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ أي التوت ساقه بساقه عند حلول الموت فلا يقدر على تحريكهما، لأن الموت قد دبَّ فيهما، قال الحسن البصري: «ماتت رجلاه فلم تحملاه، وقد كان عليهما جوالاً».

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ ﴾.

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾ أي إلى ربك المرجع والمآب، لا إلى غيره.

﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ ﴾

﴿ فَلَا صَدَّقَ ﴾ أي فلم يصدّق بالقرآن ولم يؤمن بالرسول ﴿ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ ولم يصلِّ للرحمن ما فرض عليه، والضمير للإنسان المذكور في قوله تعالى: ﴿أيحسب الإنسان﴾ وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة.

﴿ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾.

﴿ وَلَٰكِن كَذَّبَ ﴾ ما ذكر من الرسول والقرآن ﴿ وَتَوَلَّىٰ ﴾ عن الطاعة.

﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ ﴾.

﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾ يتبختر افتخاراً بذلك.

﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴾.

﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ أي ويل لك أيها الشقيُّ الفاجر على هذا الطغيان، وهو دعاء عليه بالهلاك.

﴿ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾.

﴿ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ أي ثم ويل لك على طغيانك وفجورك، وفيه تكرار الدعاء عليه.

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾.

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ أي أيظن الإنسان أن يترك مهملاً، فلا يكلَّف، ولا يجازى، ولا يعاقب؟.

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ﴾ أي أما كان هذا الإنسان نطفة حقيرة، يُراق ويُصبُّ في الرحم؟.

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ أي قطعة دم جامد ﴿فَخَلَقَ﴾ أي فخلقه الله بقدرته ﴿فَسَوَّىٰ﴾ أي فعدَّله وكمَّل نشأته، وجعله إنساناً سويًّا؟.

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ أي فجعل هذا المخلوق صنفين اثنين: ذكراً وأنثى.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ العظيم الشأن، الذي أنشأ هذا الإنشاء البديع ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؟ أي بقادر على إعادة الإنسان بعد فنائه، وهو أهون من البدأ، في قياس العقل؟ بلى إنه على كل شيء قدير. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ منكم ﴿والتين والزيتون..﴾ فانتهى إلى آخرها، فليقل: «بلى وأنا على ذلك من الشاهدين» ومن قرأ ﴿لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ

القِيَامَةِ﴾ فانتهى إلى آخرها فليقل بلى، وعزة ربنا، ومن قرأ والمرسلات فبلغ ﴿فبأيِّ حديثٍ بعده يؤمنون﴾ فليقل آمنا بالله»[1]

والله اعلم بمراده، والصلاة والسلام على خير خلقه، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة القيامة»

* * *

(١) الحديث أخرجه أبو داود رقم ٨٨٧ في الصلاة، والترمذي في التفسير رقم ٣٣٤٤.

obeikandl.com

سُورَةُ الإِنسَانِ

مكية وهي إحدى وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾.

﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ أي قد مضى ومرَّ، وهو استفهام للتقرير والتقريب، فإن «هل» بمعنى «قد» والأصل أهل أتى؟ كما تقول: هل رأيت صنيع فلان؟ وقد علمتَ أنه قد رآه ﴿عَلَى الْإِنسَانِ﴾ قبل زمان قريب ﴿حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ أي طائفة محدودة من الزمن، بعيدة الأجل ﴿لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ بل كان شيئاً منسياً لا يفطن له، والمراد بالإنسان الجنس، والغرض من هذا التنبيه على أن الإنسان محدثٌ، فلا بد له من محدثٍ قادر، وهو الخالق، المبدع، الحكيم!.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ فالإظهار لزيادة التبيين والتقرير ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أي أخلاط، من ماء الرجل وماء المرأة، مأخوذ من مشجتُ الشيء إذا خلطته، وصف تعالى النطفة به، لما أن المراد بها مجموع المائين، ولكل منهما أوصاف مختلفة، من الرقة، والغلظ، واللون ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ أي مريدين

ابتلاءَه بالتكاليف الشرعية، والأوامر والنواهي الإلهية ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ ليتمكن من استماع الآيات التنزيليه، ومشاهدة الآيات التكوينية، وإنما خصهما بالذكر، لأنهما أعظم الحواس وأشرفها.

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾.

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ بإنزال الآيات، ونصب الدلائل، والآية دالة على أن إعطاء الحواس، كالمقدَّم على إعطاء العقل، والأمر كذلك، والمراد بالسبيل ههنا: سبيلُ الخير، والشر، ومعنى هديناه أي عرَّفناه ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ أي إمَّا مؤمناً أو كافراً، أي مكناه وأقدرناه على سلوك الطريق، الموصل إلى البغية في حالتيه، وإيراد الكفور لمراعاة الفواصل، والإشعار بأن الإنسان قلَّما يخلو من كفران، وإنما المؤاخذة عليه الكفر المفرط.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾ أي هيأنا في جهنم ﴿لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا﴾ أي يقادون بالسلاسل، فتشد بها أرجلهم، وبالأغلال تشد أيديهم إلى رقابهم ﴿وَسَعِيرًا﴾ أي ناراً موقدة يحرقون بها، وهذا من أعظم أنواع الترهيب، وتقديم وعيدهم لأن تصدير الإنذار أهم وأنفع، وختمه بذكر المؤمنين أحسنُ وأوقع.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ شروع في بيان حسن حال الشاكرين، وإيرادهم بعنوان البِرّ، للإشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ أي كأس من الخمر ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما يُمزج بها ويخلط ﴿كَافُورًا﴾ هو

اسم عين في الجنة، ماؤها في بياض الكافور، هي كافور لذيذ ليس فيه مضرة، وليس ككافور الدنيا.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾.

﴿عَيْنًا﴾ أي هذا الكافور يتدفق من عين جارية في الجنة ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ أي منها أو هو محمول على المعنى، أي يتلذذ بها، وقيل: الضمير للكأس والمعنى: يشربون من العين بتلك الكأس ﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾ أهل الإيمان ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم.

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾.

﴿يُوفُونَ﴾ تفصيل لما ينبىء عنه اسم الأبرار، كأنه قيل ماذا يفعلون حتى نالوا تلك الرتبة العالية؟ فقيل: يوفون بما أوجبوه على أنفسهم، فكيف بما أوجب الله تعالى عليهم؟ ﴿بِالنَّذْرِ﴾ ما نذروه في طاعة الله ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ﴾ أي شدائده وأهواله ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ أي فاشياً منتشراً، ممتد البلاء، من استطار الحريق والفجر، وهو أبلغ من طار، وفيه إشعار بحسن عقيدتهم، واجتنابهم عن المعاصي.

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾.

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ أي على حب الطعام والحاجة إليه، كما في قوله تعالى: ﴿حتى تنفقوا مما تحبون﴾ أو على حب الله وهو الأنسب لما سيأتي لوجه الله ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ أيَّ أسيرٍ كان فيدخل فيه المملوك، والمسجون، وإطعام الطعام كناية عن الإحسان إلى المحتاجين، بأيّ وجه كان، وتخصيص الطعام لأنه أشرف أنواع الإحسان، لأن قوام الأبدان بالطعام، ولا حياة إلا به.

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ .

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ ﴾ على إرادة القول أي قائلين ذلك بلسان الحال أو بلسان المقال، وهو بيان من الله تعالى عما في ضمائرهم، لأن الله علمه منهم فأثنى عليهم[1] ﴿ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ أي لطلب ثوابه ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً ﴾ أي مكافأة تجازوننا به ﴿ وَلَا شُكُورًا ﴾ محمدة تحمدوننا به، وهو تقرير وتأكيد لما قبله.

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ .

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا ﴾ أي عذاب يوم ﴿ عَبُوسًا ﴾ تعبس فيه الوجوه وتكلح، من فظاعة أمره، وشدة هوله، أو يشبه الأسد العبوس في الشدة ﴿ قَمْطَرِيرًا ﴾ أي شديداً، فلذلك نفعل بكم ما نفعل، رجاء أن يقينا ربنا بذلك الإحسان شرَّه.

﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ ﴾ .

﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ ﴾ أي صانهم من شدائده، وحماهم من عذابه، بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ﴿ وَلَقَّىٰهُمْ ﴾ أي أعطاهم بدل عبوس الفجار ﴿ نَضْرَةً ﴾ أي حُسناً في الوجوه ﴿ وَسُرُورًا ﴾ فرحاً في القلوب.

﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ .

﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ على الطاعة واجتناب المعصية، وعلى الفقر والجوع، مع الوفاء بالنذر ﴿ جَنَّةً ﴾ بستاناً فيه مآكل هنيئة، يأكلون منه ما شاؤوا ﴿ وَحَرِيرًا ﴾ ملبساً بهياً من الحرير، يلبسونه ويتزينون به.

---

(١) قال مجاهد: أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكنَّ الله علم بما في قلوبهم، فأثنى عليهم به، ليرغب في ذلك راغب.

﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ .

﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ ﴾ أي مضطجعين في الجنة على الأسرة، المزينة بأفخر الزينة والستور، جمع أريكة وهي السرير المزخرف ﴿ لَا يَرَوْنَ ﴾ أي لا يصيبهم ولا يمسهم ﴿ فِيهَا ﴾ في الجنة ﴿ شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ الزمهرير أشد البرد، والمعنى أنه يمر عليهم هواء معتدل، لا حار محمٌّ، ولا بارد مؤذٍ.

﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾ .

﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ﴾ أي قريبة منهم ﴿ ظِلَـٰلُهَا ﴾ ظلال أشجارها زيادة في نعيمهم، على معنى أنه لو كان هناك شمس مؤذية، لكانت أشجارها مظلة عليهم مع أنه لا شمس ولا قمر، وإنما هي أنوار تتلألأ ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ أي سخرت ثمارها للقائم، والقاعد، والمتكىء أي سهل أخذها، ليسهل قطفها دون عناء وتعب، من غير تسلق للأشجار، وتعرض للأخطار.

﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ ﴾ .

﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي يدور عليهم خدمهم ﴿ بِـَٔانِيَةٍ ﴾ جمع إناء، وهو وعاء الماء ﴿ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴾ وهو جمع كوب، وهو إبريق لا عروة له، ولا أُذن له.

﴿ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ .

﴿ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ ﴾ أي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة، وشفيفها، وجمال الفضة وبياضها، والغرض من ذكر هذه الآية، التنبيه على أن نسبة قارورة الجنة، إلى قارورة الدنيا، كنسبة الذهب إلى رمل الدنيا، وأن المراد بالقوارير ليس هو الزجاج، فإن العرب تسمي ما استدار، ورقَّ

وصفا، من الأواني التي تجعل فيها الأشربة قارورة. ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي إنهم قدّروها في أنفسهم، وأرادوها على مقادير وأشكال معينة، موافقة لشهواتهم، فجاءت حسبما قدّروها.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾.

﴿وَيُسْقَوْنَ﴾ أي الأبرار ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿كَأْسًا﴾ خمراً ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ أي ما يشبه الزنجبيل في الطعم، وكان الشراب الممزوج به أطيب ما تستطيبه العرب وألذّ.

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾.

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ﴾ أي يشربون في الجنة من عين تسمى ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ سميت بالسلسبيل، لسلاسة انحدارها في الحلق، وسهولة مساغها، ليس فيها لذعة الزنجبيل، فيشعر الشاربون بطعمه، ولكنهم لا يشعرون بحرقته ولذعته.

﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾.

﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ شبهوا لحسنهم، وصفاء ألوانهم، وانبثاثهم في مجالسهم، وانعكاس أشعة بعضهم إلى بعض، باللؤلؤ المنثور أي المتفرق[1]، فإن اللؤلؤ إذا كان متفرقاً كان أجمل وأحسن.

---

(١) الحكمة في تشبيههم باللؤلؤ المنثور أن اللؤلؤ إذا لم يُثقب، يكون أشد صفاءً وأحسن منظراً، وأجمل ما يكون إذا كان منثوراً أي متفرقاً هنا وهناك، لوقوع شعاع بعضه على بعض، فإذا كان الخادم كاللؤلؤ، يشع بالجمال والبهاء، فكيف يكون المخدوم من أهل الجنة؟! اللهمَّ لا تحرمنا الجنة ونعيمها.

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ .

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ ﴾ أي إن بصرك أينما وقع في الجنة ﴿ رَأَيْتَ نَعِيمًا ﴾ أي أبصرت نعيماً لا يكاد يوصف ﴿ وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ واسعاً لا غاية له ولا نهاية.

﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ .

﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ ﴾ أي تعلوهم ثياب الحرير، الرقيق منه والثخين ﴿ وَحُلُّوٓا۟ ﴾ أي أُلبسوا للزينة والبهجة ﴿ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ أي أساور فضية لا تشبه فضة الدنيا، مع أنواع أخرى من الحلي من ذهب ولؤلؤ ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ هو نوع آخر يفوق النوعين السالفين، كما يرشد إليه إسناد سقيه إلى رب العالمين، ووصفه بالطهورية، فإنه يطهر باطنهم من الأخلاق الذميمة، والعادات القبيحة، كالحسد، والغِلِّ، والبغضاء، كما قال سبحانه: ﴿ونزعنا ما في صدروهم من غل﴾ الآية، ولذلك ختم به مقالة ثواب الأبرار ﴿ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ طاهراً من الأقذار والأدران، لم تمسه الأيدي.

﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ .

﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ أي يقال لهم إن هذا الذي نُعّمتم به من فنون الكرامات ﴿ كَانَ لَكُمْ جَزَآءً ﴾ لأعمالكم الحسنة ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ أي محموداً مرضياً عندنا، جوزيتم عليه أحسن الجزاء، والغرض من ذكر هذا أن يزداد سرورهم بالنعيم الدائم في دار الخلود.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴾ أي مفرقاً ومنجمّاً لِحكَمٍ بالغة تقتضي تفريقه، كما يعرب عنه تكرير الضمير، مع إنَّ المفيدة للتأكيد.

﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ .

﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ ﴾ باحتمال الأذى منهم، فإن له عاقبة حميدة ﴿ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ﴾ أي من الكفرة ﴿ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴾ أي كل واحد من مرتكب الإثم والكفر، «أو» بمعنى «ولا» أي ولا تطع آثماً ولا كفوراً.

﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾ ﴾ .

﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ أي داوم على ذكر ربك في جميع الأوقات في الصباح والمساء، وصلّ له، وأكثر من عبادته وطاعته في كل وقت وحين.

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ ﴾ .

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ ﴾ أي تقرَّب إلى ربك بقيام الليل، مستغرقاً في مناجاته، وأكثر من العبادة في جناح الظلام ﴿ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴾ أي وتهجد له زماناً من الليل طويلاً، فهو الزاد لك لنصرك على الأعداء، فمن كان الله معه فهو الغالب.

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ .

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي الكفرة ﴿ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴾ وينهمكون في لذاتها الفانية ﴿ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ ﴾ أي أمامهم لا يستعدون لذلك اليوم العصيب، وينبذون وراء ظهورهم ﴿ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴾ أي شديداً، عسيراً، هو يوم القيامة، فلا يستعدون له ولا يعملون، وهو كالتعليل لما أُمر به ونُهي عنه.

﴿ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ .

﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ ﴾ لا غيرنا ﴿ وَشَدَدْنَآ ﴾ أي أحكمنا ﴿ أَسْرَهُمْ ﴾ أي خلقهم فربطنا مفاصلهم بالأعصاب ﴿ وَإِذَا شِئْنَا ﴾ إهلاكهم أهلكناهم ﴿ بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ أمثالهم في الخلقة ممن يطيع الله، كقوله تعالى: ﴿وإن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أمثَالَكُمْ﴾[1].

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ﴾ أي الآيات تذكير وعظة ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ أي تقرَّب إليه بالطاعة، واتباع الرسول.

﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ ﴾.

﴿ وَمَا تَشَآءُونَ ﴾ اتخاذ السبيل، ولا تقدرون على تحصيله، في وقت من الأوقات ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ إلا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم، إذ لا دخل في مشيئة العبد إلا في الكسب، وإنما التأثير والخلق بمشيئة الله تعالى، وإنما يشاء الله ذلك ممن علم الله منه اختياره ذلك، وهذه الآية من جملة الآيات التي تلاطمت فيها أمواج الجبر، والقدر، فالقدري يتمسك بقوله تعالى: ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ والجبري يقول: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على أساس العلم والحكمة، فلا يشاء إلا ما يستدعيه علمه، وتقتضيه حكمته.

﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾.

﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ﴾ أي يدخل في رحمته وجنته من يشاء أن

---

(١) سورة محمد، آية: ٣٨.

يدخله فيها، وهو الذي يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل إليه تعالى، حيث يوفقه لما يؤدي إلى دخول الجنة، من الإيمان به والطاعة ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الظالمون هم الفجَّار الذين صرفوا مشيئتهم إلى خلاف ما ذُكر، أي ويعذّب الظالمين عذاباً شديداً مؤلماً في دركات الجحيم.

والله أعلم بمراده، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الإنسان»

* * *

opeikandl.com

مكية وهي خمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ ﴾.

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا * وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا * فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا * عُذْرًا أَوْ نُذْرًا * ﴾ ذكر المفسرون في هذه الكلمات الخمس وجوهاً:

الأول: المراد بأسرها الملائكة، الذين أرسلهم الله تعالى بأوامره، فعصفن في مضيِّهن عصف الرياح، في امتثال أمره سبحانه، ونشر الشرائع في الأرض، ففرقن بين الحقِّ والباطل، فألقين إلى الأنبياء ذكراً، إعذاراً وإنذاراً للخلق، تتنزل بالوحي للإعذار للعباد، لئلا يبقى لأحد حجة عند الله.

الثاني: أن المراد بأسرها آيات القرآن، المرسلة بكل عرف وخير إلى الرسول ﷺ، فعصفن سائر الكتب والأديان، بالنسخ ونشرن آثار الهدى في قلوب العالمين، وفرقن بين الحق والباطل، فألقين ذكر الحق فيما بين العالمين.

الثالث: المراد بأسرها الرياح، أرسلن متتابعة، فعصفن بالمشركين، وهي رياح العذاب، ورياح الرحمة نشرن السحاب في الجو، ففرقن فألقين ذكراً أي تسبَّبن له، فإن العاقل إذا شاهد هبوبها وآثارها، ذكر الله تعالى.

الرابع: أنه ليس المراد من هذه الكلمات شيئاً واحداً بعينه، فعلى هذا ﴿والمرسلات عرفا. فالعاصفات عصفاً. والناشرات نشراً﴾ الرياح ﴿فالفارقات فرقا. فالملقيات ذكراً﴾ الملائكة، ويمكن أن يقال: والمرسلات ملائكة الرحمة، والعاصفات ملائكة العذاب، والثلاثة الباقية الآيات القرآنية، والله أعلم[1]، ومعنى ﴿عُرْفاً﴾ أي متتابعة، ﴿وعُذْراً﴾ من عذر إذا محى الإساءة، و ﴿نُذْراً﴾ من أنذر إذا خوَّف، وهذه كلها أقسام، وجوابه قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ أي إن الذين توعدونه من مجيء القيامة، كائنٌ لا محالة ثم ذكر متى يقع فقال تعالى:

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨﴾.

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي محيت، ومُحقتْ وذهب بنورها.

---

(١) اختلف علماء السلف اختلافاً كبيراً في تفسير هذه الآيات الخمس، فبعضهم حملها جميعاً على الرياح ـ رياح الرحمة، ورياح العذاب ـ وبعضهم حملها جميعاً على الملائكة، وبعضهم فصَّل فيها، فجعل الآيتين الأوليين في الرياح، لأن وصف الريح بالعصف ـ وهو شدة الهبوب ـ حقيقة لغوية، يقال: عصفت الريح إذا هبَّت مع صوتٍ شديد، ولا يقال في الملائكة عصفت، والآيات الثلاث الباقية ﴿والناشرات نشراً..﴾ الخ فهي في الملائكة التي تنزل بالوحي على رسل الله، فتفرق بين الهدى والضلال، والكفر والإيمان، وهذا ما رجحه الحافظ ابن كثير، وهو الأظهر والأقرب، والله أعلم.

﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ ﴾ .

﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴾ أي صدعت وفتحت فكانت أبواباً.

﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ ﴾ .

﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾ أي جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف، كقوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسّاً﴾.

﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ ﴾ .

﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾ أي وُقّتت ومعنى توقيت الرسل، تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم.

﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ ﴾ .

﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴾ استفهام للتعظيم والتهويل، أي لأيِّ يوم عظيم أُخِّرت وأُمهلت الرسل؟ ثم بيَّن ذلك فقال:

﴿ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ ﴾ .

﴿ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴾ أي اليوم الذي يفصل الله فيه بين الخلائق.

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ ﴾ .

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴾ ؟ أيْ أيَّ شيءٍ جعلك دارياً ما هو؟ فوضع الظاهرَ موضع الضمير لزيادة التهويل.

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي في ذلك اليوم الهائل.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ كقوم نوح، وعاد، وثمود، لتكذيبهم للرسل؟.

﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ من نظرائهم السالكين لمسلكهم، في الكفر والتكذيب، كقوم شعيب، ولوط، وهو وعيدٌ لكفار مكة.

﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك الفعل الفظيع ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ أي نفعل بكل من أجرم، لأن عموم العلة يقتضي عموم الحكم.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بآيات الله، وأنبيائه، والمعاد، وليس فيه تكرار، لما أن الويل الأول لعذاب الآخرة، وهذا لعذاب الدنيا، مع أن التكرار للتوكيد حسن شائع في كلام العرب[1].

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ أي من نطفة قذرة، مهينة حقيرة؟.

---

(١) كررت هذه الآية: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ في هذه السورة عشر مرات، لمزيد التخويف والترهيب، والتكرار في مقام الترغيب أو الترهيب مستحسن، لا سيما إذا تغايرت الآيات السابقة على المرات المكرَّرة كما هنا.

﴿ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ .

﴿ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ هو الرحم.

﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ أي إلى مقدار معلوم من الوقت، قدَّره الله تعالى وهو تسعة أشهر أو أقلَّ منها، أو أكثر بقليل.

﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

﴿ فَقَدَرْنَا ﴾ أي قدرنا على خلقه وتصويره، والمراد بالقدرة إيجاد المقدور بالفعل ﴿ فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾ أي فنعم القادرون نحن على الخلق والإعادة، حيث خلقناهم في أحسن صورة وهيئة.

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بنعمة التوحيد، وقدرة الجبار.

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ ﴾ .

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴾ وعاء، والكَفْتُ الجمعُ والضم، أي ألم نجعلها تجمعكم وتحتضنكم.

﴿ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ ﴾ .

﴿ أَحْيَآءً ﴾ أي تجمعكم أحياء على ظهرها ﴿ وَأَمْوَٰتًا ﴾ وتحتضنكم في بطنها أمواتاً، والتنكير فيهما للتفخيم، بمعنى أنها جامعة لما يحتاج الإنسان إليه في حياته، من المآكل والمشارب، والأبنية، لأن كل ذلك من

الأرض، وفي مماته حيث تضمه في بطنها بعد الموت، فهي كالأم تحتضن أولادها.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أي جبالاً ثوابت ﴿شَامِخَاتٍ﴾ أي عاليات ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ أي عذباً بأن خلقنا فيها أنهاراً، ومنابع عذاباً.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بأمثال هذه النعم العظيمة.

﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ أي يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع: انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون في الدنيا من العذاب، ثم فسره بقوله:

﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ أي ظل دخان جهنم، كقوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ ﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ أي يتشعب لعظمه ثلاث شعب، كما هو شأن الدخان العظيم.

﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾.

﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ أي لا مظل من حر ذلك اليوم، وحرِّ النار، وتسميتُه ظلاً من باب السخرية والتهكم ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ أي غير مغنٍ لهم من حر اللهب شيئاً.

﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿إِنَّهَا﴾ أي النار ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾ هو ما تطاير من النار ﴿كَالْقَصْرِ﴾ كالبناء العظيم، والقصر الشامخ.

﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ﴾ أي كأن شرر جهنم الإبل الصفر، ﴿صُفْرٌ﴾ جمع أصفر، أي كأن الشرر يشبه الجمل الأصفر في اللون وسرعة الحركة، فإذا كان هذا حال الشرر، فكيف يكون حال النار، الملتهبة في فظاعتها وشدتها؟.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي هلاك ودمار للكفرة الفجار، المكذبين بيوم القيامة، ذلك اليوم العصيب الرهيب.

﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿هَذَا﴾ إشارة إلى وقت دخولهم النار ﴿يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ فيه بشيء، لما أن السؤال والجواب قد انقضى قبل ذلك، ويوم القيامة طويل له مواطن ومواقيت، ينطقون في وقت دون وقت، أو لا ينطقون بحجة تنفعهم.

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ أي لا يكون لهم إذن واعتذار، ليعتذروا، فقد مضى وقت الاعتذار، ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾.

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ أي هلاك ودمار للمكذبين بآيات الجبار.

﴿ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

﴿ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ بين الحق والباطل، وبين أهل الجنة وأهل النار ﴿ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴾ أي جمعناكم فيه يا معشر المكذبين، مع من تقدمكم من الأمم السالفة، ممن كذبوا رسلهم، لنحكم بينكم جميعاً.

﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾ أي إن كان لكم حيلة في دفع العذاب، فاحتالوا على تخليص أنفسكم من العذاب، وهذا تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا، وإظهار لعجزهم.

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ حيث ظهر أن لا حيلة لهم في الخلاص.

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ ﴾ .

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ أي الذين خافوا ربهم، واتقوا عذابه، بطاعته وامتثال أوامره، وهم في مقابلة المكذبين ﴿ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴾ في ظلال الأشجار الوارفة، والعيون الجارية، في جنات النعيم.

﴿ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي لذيذة ومشتهاة، مستقرون في أنواع الترف، وفنون التنعم، يتنعَّمون بأنواع الفواكه والثمار.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا﴾ أي مقولاً لهم ذلك ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي تعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي نجازي من أحسن عمله، وأخلص نيَّته، والغرض منه تحسير الكفار على ما فاتهم من النعم العظيمة، بأنهم لو كانوا من المتقين، لفازوا بمثل ذلك الجزاء الكريم.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالجنة ونعيمها.

﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا﴾ خطاب للمكذبين على وجه التهديد، أي كلوا من لذائذ الدنيا، واستمتعوا بشهواتها الفانية ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ أي كافرون ومكذبون، تستحقون العذاب والإهانة، شأنكم كشأن البهائم، ملء بطونها، ونيل شهواتها.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالنعم حيث عرَّضوا أنفسهم للعذاب الدائم.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴾ أي اسجدوا وصلُّوا لله لا يقبلون، يسجدون للأصنام والأوثان، ويأبون السجود للرحمن.

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي بعد القرآن الناطق بأحاديث الدارين، وأخبار النشأتين، على نمط بديع، ودلائل لطيفة ﴿يُؤمِنُون﴾؟ أي إذا لم يؤمنوا بالقرآن فبأي شيء يؤمنون؟.

والله أعلم بمراده، والصلاة والسلام على رسولنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة المرسلات»

* * *